العرب
الأحد 2021/10/03
السنة 44 العدد 12198

سرد يحرّكه قط يستكشف ما يحمله العالم من فساد

«قط يُعرّي العالم» قصص تجريبية تأخذ القارئ إلى أجواء غريبة

التجريب ممارسة فنية حداثية تهدف، في الأساس، إلى المغايرة الإبداعية وكسر المألوف في عالم الكتابة السردية، وقد كان الإبداع القصصي من أكثر الفنون الأدبية استجابة للتحولات الجمالية واستيعابا لمظاهر التجديد، فانفتحت مضامين القصص على موضوعات جديدة غير مألوفة واستعارت بنيتها مكونات الفنون الأخرى (كالمسرح والسينما والتصوير وغيرها) لإثراء المتخيل السردي.

نهلة راحيل
كاتبة مصرية

تعد المجموعة القصصية "قط يعرّي العالم" (2021) للكاتب المصري محمد سرور مثالا واضحا على التمرد على القوالب السردية التقليدية وارتياد أفق التجريب القصصي. تشمل المجموعة اثنتي عشرة قصة قصيرة تتراوح بين الواقعي والفانتازي.

وتطرح قصص المجموعة علاقة جدلية بين المعقول واللاّمعقول من خلال حكايات تجمع بين الظواهر الطبيعية كالموت والحروب وعلاقات الحب والزواج، ومواضيع غرائبية كالمسخ والتحول وصوت الظل وغيرها من مستويات سردية تجعل القارئ حائرا بين الواقع/المألوف والوهم/غير المألوف.

عالم جديد

جاءت قصة "قط يُعرّي العالم"، التي حملت المجموعة عنوانها، بمثابة البرولوج (الاستهلال) الذي يكشف عن تيمات المجموعة ويعلن عن بداية السرد، وتهيئة المتلقي إلى الدخول إلى عالم جديد يخرق آفاق المحتمل -على مستوى البنية والحدث- لتمرير خطاب يعرّي فساد الواقع عبر سرد يحركه قط يستكشف ما يحمله العالم بداخله من قبح مستتر.

> كانت الغرائبية وتعالقها مع الواقع والأسطورة من الموضوعات الأكثر تجديدا التي ظهرت في بعض نصوص المجموعة

بينما تمحورت بقية قصص المجموعة حول موضوعات بارزة مثل "الموت" الذي امتلك حضورا نصيا في العديد من القصص مثل: "الدخان الأبيض" و"قصة افتراضية عن بائعة الورد" و"اركض يا عمر"، أو "الاغتراب" الذي كان من الملامح الأساسية في نصوص هذه المجموعة كما تجسد في شخصيات قصص "صاحبة الظل المحني" و"الرجل الخشبي" و"رائحة شاذة".

كما كانت الغرائبية وتعالقها مع الواقع من الموضوعات الأكثر تجديدا التي ظهرت في بعض نصوص المجموعة مثلما نجد في قصص "صاحبة الظل المحني" و"الرجل الخشبي" و"سؤال بسيط عن أمر معقد" و"وجبة حمراء" وغيرها. وكذلك كانت العلاقة بين السلطة والشعب -والتي يشوبها الخوف والشك والصراع- من الموضوعات الطاغية بوضوح على قصص المجموعة كما لمسنا على سبيل المثال في قصتي "اركض يا عمر" و"سؤال بسيط عن أمر معقد".

المسخ والظلال

تكشف قراءة قصص المجموعة عن تعدد المستويات السردية التي مسّها التجريب، حيث بنيت نصوص المجموعة على أنماط مختلفة من التعبير تقوم على خلخلة القوالب الفنية التقليدية وفتح آفاق جديدة في بناء أحداث القصة. ومن أهم هذه المستويات:

نجد بداية لعبة الميتاسرد. ومن طرائق المزج بين الواقع والخيال بالمجموعة انفتاح بعض نصوصها على تقنيات عديدة تعمل على الانزياح عن تقنيات السرد التقليدية، وعلى رأسها توظيف خطاب الميتاسرد الذي يُخرج المتلقي من الحكاية كي يعمل ذهنه في مساراتها وكيفية حدوثها بدلا من الانغماس التام في أحداثها المتخيلة.

وتعتمد تقنية الميتاسرد على الابتعاد عن الفهم التقليدي والممارس للأحداث والشخصيات والزمان والمكان، ومحاولة الاتجاه إلى التجريب والتحديث الذي يكفل لها التحرر من قيود السرد، والانتقال إلى مستوى سردي آخر يقدم فيه الكاتب تعليقات أو تصريحات حول كيفية إبداع ذلك العالم المتخيل؛ حيث يصبح المتلقي طرفا في عملية التخييل والكتابة.

وقد اتضحت جرأة التجريب ولعبة الميتاسرد في قصة "أقدار مغايرة" التي تخرج فيها شخصيات رواية يكتبها بطل القصة عن سلطته وتبدأ في فرض وجودها عليه بعد صراع طويل تحاول فيه تلك الشخصيات كتابة أقدار جديدة تختلف عن المصير المكتوب لها على صفحات الرواية المتخيلة، حيث كان على كل شخصية أن تغير قدرها وتتمرد على المصير الذي حدده لها كاتبها.

كما نجد توظيف الظل. إذ اعتمدت بعض قصص المجموعة على تقنيات مسرحية تجلت -على سبيل المثال- في توظيف الظل كوسيلة لعرض قصص إنسانية ولانتقاد الحياة الاجتماعية/السياسية دون الاحتكاك المباشر بالواقع؛ فخيال الظل يعد في الأساس شكلا من أشكال الفرجة يرى فيه المتفرج العلاقة بين عالم واقعي أو ظاهر وآخر خيالي أو غير ظاهر، ويحاول تفسيرها.

وهنا تجاور الطابع الدرامي مع البعد السردي عبر توظيف الظل في قصة "صاحبة الظل المحني"، ليصبح النص بهذا مثالا لتجريب آليات المسرح وتفعيلها قصصيا بشكل يسمح بتداخل المحكي السردي بالمحكي المسرحي وتضافرهما معا داخل المتن، حيث تنفرد كل شخصية بخيالاتها التي تظهر لها في شكل ظلال تحاورها وتراقصها.

ومن الأساليب التجريبية أيضا التحول والمسخ. فمن أهم آفاق التجريب التي ترتادها النصوص القصصية اعتماد الصيغ العجائبية في تقديم الحكاية، ومن ثم تجاوز الأطر التقليدية النمطية للحبكة السردية. حيث يعد العجائبي -من هذا المنطلق- نمطا تعبيريا تجريبيا يلجأ إليه الكاتب لمعارضة الواقع دون إلغائه، فينطلق في مغامرة إبداعية تهدف إلى الخروج عن القواعد الكلاسيكية المقررة.

ويعد موضوع التحول أو المسخ من أبرز موضوعات السرد العجائبي -كما حددها شعيب حليفي- التي تبعث الحيرة والدهشة لدى المتلقي الذي يحاول تفسير تلك الحالة وما ترمز له من أزمات تتمحور غالبا حول الاغتراب عن الذات أو عن المجتمع؛ فحين تطرأ على شخوص الرواية تحولات فيزيقية تكون عادة انعكاسا لتشوهات نفسية أصابتها.

وهنا تعد قصة "الرجل الخشبي" من النصوص المهمة بالمجموعة التي لجأ فيها الكاتب إلى تقنية التحول أو المسخ للتعبير عن أزمة الوجود ورفض الواقع؛ فاستطاع أن يخلق عالما سرديا عجائبيا/ غير مألوف ممتزجا بمواد الواقع، عبر تخشّب بطل القصة وهو جالس أمام شاشة التلفزيون وتحوله إلى كتلة خشبية صماء تأخذ شكل المقعد الجالس عليه.

وهو الملمح الذي نلمسه كذلك في قصة "وجبة حمراء" التي تتحول شخصياتها إلى هياكل ذابلة تزحف فوق التراب، وتبرز عظام أجسادها الهزيلة وتسقط رؤوسها، نتيجة ما تتعرض له من شفط مستمر للدماء مقابل الحصول على الأطعمة الشهية.

توظيف الدين والأساطير

من أساليب التجريب في قصص سرور التناص الديني. واستلهام التراث الديني ظاهرة قديمة في العديد من النصوص الأدبية انشغل بها معظم المبدعين، ولكن يكمن التجديد بها في الأسلوب الذي يستعير به الكاتب نصا دينيا أو قصة دينية ويوظفها في نصه الأدبي بهدف تقوية النص وإبراز معناه، أو تمرير رؤية معينة يريد تقديمها للمتلقي.

وقد يحمل النص الإبداعي علاقات تخالف واضحة -من حيث الرؤية والموقف- مع القصة الدينية المبني عليها النص، وهو ما أسماه أحمد مجاهد في كتابه الخاص بأشكال التناص الشعري وتوظيف الشخصيات التراثية بـ"تناص التخالف"، ويتمثل في معارضة توظيف الشخصية - القصة التراثية داخل النص الحداثي للمرجع التاريخي - الديني.

فعلى العكس من دلالة الطوفان في النصوص الدينية وهي تطهير الأرض من المعصية والعصاة وبدء الحياة الصالحة على الأرض من جديد بعد إنقاذ الصالحين من الغرق عبر ركوبهم للسفينة التي صنعها نوح، نجد هنا أن الكاتب في قصة "بئر نوح" قد استخدمه بدلالة عكسية وهي دلالة التحطيم وبداية الخراب؛ حيث نجد أن من تمكن من ركوب السفينة والاحتماء بها من الأمواج هم القوم الظالمون الذين يعيثون في القرية فسادا بينما كان الصالحون هم الغارقون، وهو ما يحيلنا إلى قصيدة "مقابلة خاصة مع ابن نوح" للشاعر أمل دنقل، وكأن القصة هنا هي بمثابة تحول سردي للقصيدة.

كما يتجسد التناص الديني في توظيف تيمة القرية الظالم أهلها التي تستمر في بغيها حتى يأتيها موعد الهلاك كما حدده العقاب الإلهي، وهو ما اتضح في قصة "سؤال بسيط عن أمر معقد"، التي يعيش أهلها في بيئة ملعونة يسكنها الدود والغربان وكائنات تشبه البشر لها رؤوس بحجم الزيتونة، يحاكم حكّامها المذنب دون أن يعرف الذنب الذي يُحاكم من أجله.

وقد يلجأ الكاتب إلى توظيف الأسطورة كوسيلة يُمكنه عن طريقها أن يضفي على نصه طابعا فكريا فلسفيا وأن يكسبه قوة إبداعية متجددة مستمدة من الأجواء الأسطورية التي تمنح المتلقي دلالات متجددة في كل مرة يحاول فيها إيجاد العلاقة بين النص الأدبي والمكونات الأسطورية المستوحاة.

وقد نجد الأسطورية روحا عامة تسري في العمل الأدبي بهدف بلوغ أقصى درجات التأثير في القارئ وتحقيق مستوى تجريبي مزدوج يطول النص في دلالته الفكرية المضمونية وكذلك في بنيته الفنية الجمالية، مما يبرهن على القوة التجديدية التي يمتلكها الكاتب عبر اشتغاله على الغريب والأسطوري وتوظيفه في مادته الحكائية.

وقد تجلى الملمح الأسطوري منذ المشهد الاستهلالي لقصة "المدينة الزرقاء" في ارتباط "نور" -بطلة القصة- بالبحر وتعلقها برائحته، فكانت تلجأ إليه كلما ضاقت بها الدنيا لتشكو له وتحكي له قصتها، حتى بدا البحر نفسه وكأنه شخصية رئيسة تشاركها الأحداث الفاصلة في حياتها.

كما انعكس ذلك الفضاء الأسطوري على البنى الفكرية والجسدية لبعض الشخصيات، مثلما يمكن أن نلمس في أسطورية بناء شخصية "بحر" -مولود نور بالقصة نفسها- الذي اتسم بسمات خاصة جعلته يشبه "البطل الأسطوري" الذي يحتل مكانا مميزا عن الآخرين بفضل أفعال بطولية وسلوكيات أخلاقية تخلده في قلوب الناس.

وفي النهاية، يمكن القول إن المجموعة القصصية "قط يعري العالم" للكاتب محمد سرور قد امتلكت العديد من مستويات التجريب -على مستوى الخطاب الشكلي والمضموني معا- التي أهّلتها إلى الابتعاد عن القولبة وكسر رتابة المألوف، مما دفع القارئ إلى الكشف عن جماليات السرد بنصوصها والمشاركة في إنتاج تلك النصوص من جديد وليس مجرد تلقيها فقط.

عوالم غريبة تجعلنا نعيد التفكير في الواقع (لوحة للفنان سنان حسين)

رف الكتب

نساء غيبهن التاريخ

"تاريخ النساء الذي لم يُكتب بعد: دراسة حول الكتابة والجندر في الثقافة العربية" هي دراسة أكاديمية للباحثة الجزائرية فيروز رشام تطرح إشكاليات تاريخية وجندرية مهمة في مجال الدراسات النسوية والثقافية إذ تعالج الأسباب التي حالت دون تقدم النساء في مجال الكتابة والفكر منذ قرون لاعتبارات أملتها الثقافة السائدة.

فقد ركزت السرديات الكبرى في الثقافة العربية على الجانب الجسدي للمرأة المطلوب للمتعة والإنجاب فقط في حين تم إلغاء جانبها العقلي وحرمت من حقها في التفكير والمشاركة في صناعة الرأي وإنتاج المعرفة بحجة أنها ناقصة عقل فتم الاستخفاف بإنجازاتها وأُهملت إبداعاتها حتى بدا التاريخ خاليا من مساهمات النساء.

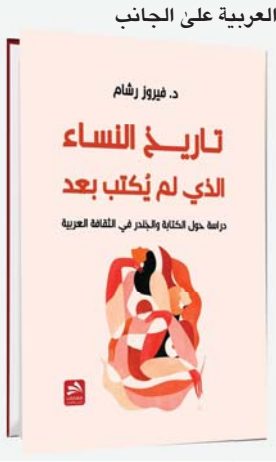

ويجمع هذا الكتاب، الصادر عن دار فضاءات بالأردن، معطيات تاريخية مهمة حول تاريخ النساء وكيفية تعامل الثقافة مع المرأة الكاتبة والمفكرة وكيفية ابتكارها لأساليب رمزية تعمل على تقزيم دور النساء الحضاري.

نقد الشعر بالشعر

يتضمن كتاب "إجراءات النقد وقضاياه في الشعر الجاهلي" للباحث السوري فاروق إسليم قراءات في إجراءات نقد الشعر ووعي قضاياه لدى العرب قبل الإسلام ولدى المخضرمين.

ويسلط الكتاب، الصادر عن دائرة الثقافة في الشارقة، الضوء على موضوعات نقدية يحتاج إلى معرفتها كل من يتصدى لدارسة نقدنا العربي القديم، "لأنها أصل تأسس عليه الكثير من آراء نقادنا القدامى الخاصة بإبداع الشعر ووظائفه وقضاياه الفنية والتوصيلية المختلفة ويمثل انتقال الشعراء من نمط المقطعة إلى التقصيد عملا نقديا أوليا واعيا استجابوا به لمتطلبات حياتية جديدة ولذوق فني نام".

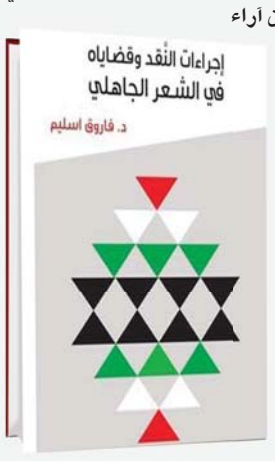

وصرح الكاتب أن نقد العرب للشعر قبل الإسلام "اتخذ طابع القول الشفاهي لا الكتابي وله مظهران، الأول طابع نثري غلبت عليه الأحكام العامة والثاني طابع شعري غلب عليه طابع الأحكام الجزئية، وكان حضور الأحكام النقدية بالقول الشعري أكثر بروزا وحضورا من النقد بالقول النثري".

الإعلام والعربية

يعد كتاب "الإذاعة والتنمية اللغوية: أي علاقة بين الخطاب الإعلامي واللغة العربية؟" جزءا من أطروحة الدكتورة شفيقة العبدلاوي أعدتها في موضوع "اللغة العربية في وسائل الإعلام السمعية المغربية إذاعة وجدة أنموذجا".

ترى الباحثة أن وسائل الإعلام وإن حققت في ما مضى نفعا للغة العربية وخدمتها من حيث الانتشار والتداول، إلا أنها في عصرنا سببت لها إفسادا بالغ الخطورة يكمن في الترويج للعاميات، واتخاذها أسلوبا للحوار والنقاش، وإقحام اللغات الأجنبية على حساب مساحة من اللغة العربية، فضلا عن الأخطاء الشائعة التي تجري على لسان الصحافيين والمذيعين.

وبناء على هذه الإشكالية، ناقش الكتاب، الصادر عن جمعية العلامة الجمالية ومطبعة جسور، العديد من المحاور منها النظرية المتعلقة بنشأة الإعلام السمعي عالميا وعربيا ووطنيا، ثم تخصيص الحديث عن نشأة الإذاعة الوطنية والإذاعات الجهوية، كما ناقش الكتاب أهم الوظائف التي تؤسس لعلاقة الإذاعة بالمواطن.